الباب الثانى

عقوق الوالدين

مقدمـــــة :

الفصل الأول : خطورة العقوق .

الفصل الثانى : آثار العقوق .

الفصل الثالث : مظاهر العقوق .

الفصل الرابع : أسباب العقوق .

الفصل الخامس : والدا النبى ﷺ .

مقدمـــة

العقوق مصدر عَقَّ، يقال: عق الولد والده عقوقًا ومَعَقَّة، فهو عاقّ وعُقَق كَعُمَر، وجمع العاق عَقَقَة مثل كافر وكفرة، وفى المأثور: ذُقْ عُقَقُ، أى ذق جزاء فعلك يا عاق، والمادة أصلها القطع، فعقوق الوالدين معناه قطع البر عنهما.

وكما استحبت العقول البرَّ، وأكدته الأديان، استنكرت العقوق ونفرت منه، والفطرة السليمة تمقته، لأنه لا شيء أعظم ألما للنفس من أن يحسن الإنسان إلى شخص غاية الإحسان، ويحتمل المشاق فى سبيل سعادته، ثم لا يرى منه مكافأة على ذلك، أو تكون المكافأة سوءا أو شرا، إن العاق بمثابة شجرة تعب صاحبها فى رعايتها، ثم لم تنبت شيئًا، أو أثمرت شوكا وعلقما.

فبر الوالدين شعور فطرى إنسانى، ولذلك كان أمرًا متفقًا عليه فى كل الأديان، جاءته تؤكده، ونادت الولد باسم الإنسانية أن يحسن إلى والديه: ﴿ **ووصَّينا الإنسان بوالديه** ﴾، وكذلك يكون العقوق مضادًا للفطرة السليمة، وشذوذًا عن معانى الإنسانية.

ولشدة وقع العقوق على نفس الوالدين كان من آمال بعض العقلاء أن يغنيهم الله فلا يحتاجون إلى أولادهم، ناول عمر بن الخطاب رجلاً شيئًا، فدعا له قائلاً: خَدَمَكَ بنوك!! فقال عمر: بل أغنانا الله عنهم.(١)

وروى أن عمر قال للنبى ﷺ: ما بالُنا نَرِقُّ على أولادنا، ولا يرقون علينا؟ قال: « لأنا ولدناهم ولم يلدونا »(٢)، وهو حديث غير مسند لم أجده فى الأحاديث المقبولة.

وقد قيل: إن العقوق تُكْلُ من لا ثكل له، أى يشبه فى مرارته النفسية مرارة موت الولد، فمن لم يمت له ولد، ولكن الولد يعقه كان عقوقه مؤلما كموته.

وتأخر أعرابى فى الزواج حتى كبر وأَسَنَّ فسئل عن السبب فى ذلك. فقال: أبادر ابنى باليتم قبل أن يبادرنى بالعقوق.(٣)

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ٩٣).

(٢) أدب الدنيا والدين ص١٤٦.

(٣) المحاسن والمساوى، للبيهقى (٢/ ١٩٠).

الفصل الأول

خطورة العقوق

لقد نهى الإسلام عن العقوق، وحذر منه أشد التحذير، كما يتبين مما يلى:

١ – قال تعالى: ﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ [الإسراء:٢٣].

٢ – قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ** ﴾ [الأحقاف:١٧، ١٨]، قيل: إن هذه الآيات نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل إسلامه، ويقال: إن عائشة أخته نفت ذلك عنه(١)، ورجح القرطبى أنه هو، وقال الحسن وقتادة، هى نعت عبد كافر عاق لوالديه، ورجحه الزجاج.(٢)

روى البخارى ومسلم عن أبى بَكْرَة أن النبى ﷺ، قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئًا فجلس، ثم قال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور» وما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

٤ – روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبى ﷺ، قال: «الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغَمُوس»(٣)، واليمن الغَمُوس هى التى يحلفها الإنسان كذبًا عامداً، وسميت بذلك لأنها تغمس الحالف فى الإثم أو فى النار، وقيل: هى التى تُحْلَف أمام القاضى خاصة، مع تعمد الكذب.

---

(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطى ص١٣٦، وتفسير أبى السعود والنسفى.

(٢) تفسير القرطبى (٧/ ١٨)، (١٦ / ١٩٧، ١٩٨).

(٣) رياض الصالحين ص١٦١.

٥ – روى البخارى ومسلم عن أبى محمد بن جبير بن مطعم، قول النبى ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع».

٦ – روى البخارى ومسلم عن المغيرة بن شعبة، قوله ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومَنْعَ وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» ومعنى: منع وهات، منع ما وجب، وطلب ما ليس حقا للإنسان، وتروى بفتح النون وسكونها.

٧ – روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ، قال: «رَغِمَ أنْفُه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه» قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما، ثم لم يدخل الجنة».(١)

ومعنى: رَغِمَ أنفه التصق أنفه بالرَّغَام وهو التراب، وهو دعاء عليه بالذلة.

٨ – روى الطبرانى بأسانيد أحدهما حسن عن جابر بن سَمُرة، أن النبى ﷺ، قال على المنبر: «آمين آمين آمين»، ولما سئل عن ذلك، قال: «أتانى جبريل، فقال: يا محمد، من أدرك أحد أبويه، فمات، فدخل النار، فأبعده الله من الجنة، قل آمين، فقلت: آمين».(٢)

٩ – وردت نصوص تنهى عن قطيعة الرحم، والوالدان أقرب الأرحام إلى الإنسان.

١٠ – كما ستأتى نصوص أخرى فى ألوان من العقوق وقطيعة الرحم.

* * *

(١) الترغيب (٣/ ١٣١).
(٢) الترغيب (٣/ ١٣٢)، وصححه الألبانى على الجامع الصغير.

الفصل الثانى

آثار العقوق

لعقوق الوالدين آثار سيئة كثيرة، منها:

١ ـ عدم راحة العاق فى عيشه مع والديه، وفساد جو الأسرة من أجله.

٢ ـ احتقار الناس له، وعدم رجاء الخير منه، لأنه لم يكن فيه رجاء لأخص الناس، وهم الوالدان اللذان هما أولى بخيره، قال عمر بن عبد العزيز لابن مهران: لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر، ولا تَخْلُوَنَّ بامرأة وإن علّمتها سورة من القرآن، ولا تصحبن عاقا، فإنه لن يقبلك وقد عق والديه.(١)

ولعل مما يوضح هذا المعنى حكاية النضيرة بنت الضَّيْزَن، التى دلت «سابور» على حصن والدها لما أُعجبت به واتخذها زوجة له، فقد سألها: كيف كان والدها ينعم عليها ويحبها ويكرمها، فذكرت له شيئًا كثيرًا، وهنا عرف أنه لن يستطيع أن يكرمها كما أكرمها أبوها، وبخاصة عندما حكت له أنها كانت تتألم إن نامت على فراش فيه ورقة ناعمة من ورق الشجر، فتأكد أنها لن تخلص له أبدًا، لأنها لم تخلص لوالدها على الرغم من تفانيه فى إكرامها فدلت عدوه عليه، فقتلها شر قتلة.

٣ ـ القصاص منه فى الدنيا، وذلك بمجازاته بالمثل عن طريق عقوق ولده له، والجزاء من جنس العمل، وهذا أمر واقع مشاهد، ويفهم من قوله ﷺ: «برُّوا آباءكم تَبرُّكم أبناؤكم» وقد تقدم، وستأتى فى آخر الفصل وقائع تاريخية تشهد لذلك.

٤ ـ عدم توفيقه فى نشاطه، وبخاصة الاجتماعى منه، وذلك لقسوة قلبه،

---

(١) المستطرف (٢/٨).

ونكرانه الجميل، وعدم اهتمامه بمصالح الغير، والناس فى معاملاتهم ينظرون إلى تبادل الخدمات والمنافع، ويكرهون الأنانية والأثرة، ومن كانت فيه تلك القسوة، وتجاهل خدمات الغير لا يهنأ له عيش فى المجتمع.

٥ – تعجيل عقوبته فى الدنيا قبل الآخرة، وذلك بغير عقوق ولده له، الذى تقدم ذكره، ولله عقوبات كثيرة لا يفطن لها الكثيرون، فقد تكون أمراضًا أو فقراً أو إخفاقًا فى تعليم ونحو ذلك، ويدل عليه قول النبى ﷺ: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات» رواه الحاكم وصححه عن أبى بَكْرَة.(١)

٦ – التعرض لخطر دعاء الوالدين عليه، ودعاؤهما مستجاب، كما مر فى حديث جريج، الذى جاء فيه: «لو دعت عليه أن يُفْتن لَفُتن» رواه مسلم.

وفى تاريخ ابن خَلِّكان وغيره أن الزمخشرى كان مقطوع الرِّجل، ولما سئل عن سبب ذلك، قال: «دعاء الوالدة، وذلك أنى كنت فى صباى قد أمسكت عصفوراً، وربطته بخيط فى رجله، فانقطعت رجله بالخيط، فتألمت والدتى لذلك، وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله!! فلما وصلْتُ إلى سِنِّ الطلب، أى طلب العلم، رحلْت إلى بخارى لطلب العلم، فسقطت عن الدابة، فكسرت رجلى، وعملت عملاً أوجب قطعها».(٢)

٧ – شؤمه على من حوله من أصدقائه ومعاشريه والمتصلين به، ففى مصابيح السنة، للبغوى حديث: «لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم»، وفى رواية: «لا تنزل الملائكة على قوم فيهم قاطع رحم»، ورواه الأصبهانى والطبرانى عن عبد الله بن أبى أَوْفَى.(٣)

فقد روى عن عبد الله بن أبى أَوْفَى، أنه قال: كنا عند النبى ﷺ، فأتاه آت، فقال: شاب يجود بنفسه، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فلم يستطع، فقال

---

(١) الترغيب (٣/١٣٧).
(٢) حياة الحيوان الكبرى، للدميرى: عصفور.
(٣) الترغيب (٣/١٤٣).

النبى ﷺ : « كان يصلى »؟ فقال : نعم، فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه، فدخل على الشاب، فقال له : « قل لا إله إلا الله »، فقال : لا أستطيع، قال : « ولِمَ »؟ قال : كان يعق والدته[1]، فقال النبى ﷺ : « أحيَّة والدته »؟ قالوا : نعم، قال : « ادعوها »، فدعاها، فجاءت، فقال : « هذا ابنك »؟ فقالت : نعم، فقال لها : « أرأيت لو أجَّجْتُ ناراً ضخمة، فقيل لك : إن شَفَعْتِ له خَلّيْنا عنه، وإلا أحرقناه بهذه النار، أكنت تشفعين له »؟ قالت : يا رسول الله إذًا أشفع[2]، قال : « فأشهدى الله وأشهدينى قد رضيت عنه »، قالت : اللهم إنى أشهدك، وأشهد رسولك أنى قد رضيت عن ابنى، فقال له رسول الله ﷺ : « يا غلام، قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » فقالها، فقال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذى أنقذه بى من النار » رواه الطبرانى وأحمد مختصراً، وجاءت فيه روايات أخرى.[3]

٩ – حرمانه من فضل الله ومنته على العباد فى المواسم المفضلة، كليلة القدر، فقد رُوى عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه تحدث عن ليلة القدر، ونزول جبريل مع الملائكة، وتسليمهم على الذين يُحْيُون ليلة القدر، وقولهم عند رحيلهم : ما صَنَعَ الله فى حوائج المؤمنين من أمة محمد؟ فيقول : نظر الله إليهم فى هذه الليلة، فعفا عنهم إلا أربعة، فقلنا –الصحابة– : يا رسول الله مَنْ هم؟ فقال : « رجل مدمن خمر، وعاق لوالديه، وقاطع رحم، ومشاحن » رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب « الثواب » ورواه البيهقى، يقول الحافظ المنذرى : ليس فى إسناده من أجمع على ضعفه.[4]

وكذلك حرمانه من فضل الله فى ليلة النصف من شعبان، روى البيهقى عن عائشة أن رسول الله ﷺ، قال : « أتانى جبرائيل عليه السلام، فقال : هذه ليلة

---

(١) التعبير بالغائب بدلاً عن المتكلم : كنت أعق والدتى، تنزهًا عن نسبة العقوق للمتكلم، كما يقال : وعليه لعنة الله، حكاية عن الذى يقول ذلك، فمقتضى الكلام أن يقول قال : وعلىَّ لعنة الله، لكنهم يعدلون عن ذلك إلى الغيبة.

(٢) إذًا تكتب بالألف إذا كانت عاملة، أى ناصبة، وبالنون إذا لم تكن عاملة.

(٣) الترغيب (٣ / ١٣٧).

(٤) الترغيب (٢ / ٢٢).

النصف من شعبان، ولله عُتَقَاء من النار بعدد شعور غنم بنى كلب، لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مُسْبِل، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر..» .(١)

١٠ – حرمانه من رحمة الله ومن دخول الجنة، وقد وردت فى هذا عدة أحاديث، منها:

(أ) «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمَنَّان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والدَّيوث، والرَّجلة» رواه النسائى والبزار عن ابن عمر بإسنادين جيدين، ورواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وروى ابن حبان فى صحيحه شطره الأول، وروى أحمد والنسائى والبزار والحاكم نحوه أو قريبًا منه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال المنذرى: «الديوث: هو الذى يُقر أهله على الزنى مع علمه بهم، والرجلة: بكسر الجيم مع فتح الراء هى المترجلة المتشبهة بالرجال» .(٢)

(ب) «يراح ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها منَّان بعمله، ولا عاق، ولا مدمن خمر» رواه الطبرانى عن أبى هريرة.(٣)

(جـ) «ثلاثة لا ينفع معهن عمل، الشرك بالله وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف» رواه الطبرانى عن ثوبان.(٤)

(د) «أربع حَقٌّ على الله ألا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها، مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه» رواه الحاكم وصححه عن أبى هريرة.(٥)

(هـ) عن عمرو بن مُرَّة الجُهَنى، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليتُ الخمس، وأديت زكاة مالى، وصمت رمضان، فقال النبى ﷺ: «من مات على هذا كان مع النبيين

---

(١) الترغيب (٢ / ٢٩، ٣٠).
(٢) الترغيب (٣/ ١٣٥).
(٣) المرجع نفسه.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) المرجع نفسه.

والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا» ونصب أصبعيه: «ما لم يعق والديه» رواه أحمد والطبرانى بإسنادين أحدهما صحيح، ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما باختصار.(١)

١١ - مجازاته فى النار بمثل ما كان يعق به والديه، أى أن صورة عذابه تكون مماثلة لتعذيبه لوالديه، فعن العوام بن حَوْشَب، قال: نزلت مرة حيًّا، وإلى جانب ذلك الحى مَقْبُرة، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر، فخرج رجل، ورأسه رأس الحمار، وجسده جسد إنسان، فَنَهقَ ثلاث نهقات، ثم انطبق عليه القبر، فإذا عجوز تغزل شَعْرًا أو صوفًا، فقالت امرأة: ترى تلك العجوز؟ قلت: مَالَها؟ قالت: تلك أمُّ هذا، قلت: وما كانت قصته؟ قالت: كان يشرب الخمر، فإذا راح تقول له أمه، يا بنى اتق الله، إلى متى تشرب هذه الخمر؟ فيقول لها: إنما أنت تَنْهُقين كما يَنْهُق الحمار، فقالت: فمات بعد العصر، قالت: فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم، فينهق ثلاث نهقات، ثم ينطبق عليه القبر، رواه الأصبهانى وغيره، قال الأصبهانى: حدَّث به أبو العباس الأصم إملاء بنيسابور بمشهد من الحفاظ، فلم ينكروه.(٢)

والمقبرة بفتح الباء أو ضمها المكان الذى يدفن فيه الموتى، ونَهَق فى الماضى بفتح الهاء، وفى المضارع بضمها أو بكسرها.

هذا، وقد روت كتب الأدب بعض الوقائع التى جازى الله بها العاقين بأن قيض لهم فى الدنيا من يثأرون لآبائهم وأمهاتهم منهم، منها:

أن جريرًا الشاعر كانت فيه متناقضات واضحة، مع عفته وتصونه، ومع محافظته على الصلاة كان هجَّاء مقذعًا، وبخاصة للنساء، حتى قيل: أنه قذف أكثر من ألف محصنة شريفة، وكان يشرع فى هجائه بعد انفلاته من صلاة الصبح، وبعد الهجاء يستغفر ربه، وكان على صلاحه من أعق الناس لوالده، فقيض الله له ولداً هو «بلال» رد إليه العقوق مضاعفًا.

(١) الترغيب (٣/١٣٦).
(٢) الترغيب (٣/١٣٧).

يقولون: إن جريراً وولده بلالاً تَلاحَيا فى بعض الأمور، فقال الأب لابنه: إنك لكذاب، فأجابه ولده بغير احتشام: لعن الله أكثرنا كذباً، فأقبلت عليه أمه تعنفه، وتقول له: يا عدو الله أَتَجْبَهُ أباك بمثل هذا القول البذىء؟ فقال جرير: دعيه، فوالله لكأنى أسمعها وأنا أقولها لأبى.

ويقولون أيضاً: إنه كان لعبد الله الخياط ولد يسمى «يونس» يسومه أنواع العقوق، وحدث أن رآه الناس آخذاً بتلابيب أبيه، يعصر حلقه عصراً، فأسرع رجل، فخلصه من يده بعد جهد، ثم صرخ فى وجهه، ويحك كيف تفعل ذلك بأبيك؟ فقال عبد الله: لا تلمه يا أخى، فوالذى نفسى بيده لقد خنقت أبى فى هذا الموضع الذى خنقنى فيه.

وتقول الرواية: إن الله رزق «يونس» بولد يقال له «دحيم» فاق أباه وجده فى العقوق.(١)

* * *

(١) على الجندى - أهرام ٣/٣/١٩٥٤م.

الفصل الثالث

مظاهر العقوق

عقوق الوالدين قَلَّ من العلماء من ضبطه بحد، وحاول ابن الصلاح أن يعرِّفه بقوله: العقوق المحرم كل فعل يتأذى به الوالد، أو نحوه، تأذيًا ليس بالهين، مع كونه ليس من الأفعال الواجبة، قال: وربما قيل: طاعة الوالدين واجبة فى كل ما ليس بمعصية، ومخالفة أمرهما فى ذلك عقوق.

غير أن حصر مظاهر العقوق بدقة غير سهل، كمظاهر البر، وعلى هذا، كما جُمعت مظاهر البر فى الإحسان والمعروف، يمكن جمع مظاهر العقوق فى مخالفة الإحسان والمعروف، الذى بينا بعض مظاهره فى البر، وأريد هنا تفصيل بعض النقط، وهى:

١ ـ من العقوق، كما ذكر القرآن الكريم، نهر الوالدين، وقد تقدم تفسيره بالفعل السيىء أو الزجر عن شيء لا يحبه الولد، سواء أكان مشروعًا أم غير مشروع، والواجب أن يقول لهما قولاً كريمًا، فإذا حدث من الوالدين عمل محرم، كشرب خمر أو ترك صلاة مثلاً فهل يقف الولد مكتوف اليدين لا ينهاهما ولا يغير هذا المنكر؟ لقد مرت الإجابة على ذلك.

وأنقل لك رأى الإمام الغزالى فى كتابه «إحياء علوم الدين»[1]، فقد ذكر أن للولد أن ينكر المنكر على أبيه، ولكن بالتعريف والوعظ والنصح باللطف، وليس له الإنكار بالسب والتعنيف والتهديد، ولا بمباشرة الضرب، وأما الإنكار باليد، كإهراق إناء الخمر، ورد الأموال المحرمة التى عنده لأصحابها المعروفين، فذلك ليس فيه إيذاء لذات الأب كالضرب والسب، فيجوز، لكن يقال: إن الوالد

---

(١) (٢/ ٢٧٩).

يتأذى به، ويسخط بسببه، لكن فعل الولد حق، وسخط الوالد منشؤه حُبُّه الباطل والحرام، فللولد عمل ذلك، بل يجب عليه.

٢ – يحرم على الولد عقوق والديه مباشرة وبغير مباشرة، وذلك بالتسبب فى إيذائهما، وقد مثل له الحديث الشريف بسبِّ الولد أبا غيره، فقد قال ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه، فيسب أمه» رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

* * *

الفصل الرابع

أسباب العقوق

الأسباب التى تدعو الولد إلى عقوق والديه كثيرة، منها:

١ – فساد طبع الولد، أو تسلط الهوى عليه، كما عصى ولد نوح أباه، وكما هجا الحطيئة أمه لأنه كان يهجو نفسه، وطبعه هو الذى أملى عليه ذلك، قال فيها:

تَنَحَّىْ يا دَفَارِ فلستِ مني ... أراح الله منك العالمينا

أَغِرْ بالاً إذا اسْتُودعْتِ سِرًّا ... وكانونا على المتحدثينا؟

دفار، يعنى: منتنة، وهو يطلق على الأَمَة.

ومن مظاهر فساد الطبع طمع الولد فى مال أبيه، وتعجل وفاته ليرثه، أو يحل محله، كما سَلَّطَ «المنتصر» الأتراك على أبيه، فقتلوه، ليرث الملك بعده، ولم يهنأ بهذا الملك إلا قليلا، فإن الأتراك قتلوه أيضًا جزاء وفاقا، وقال وهو فى النزع الأخير: يا أماه عاجَلْتُ أبى فعوجلت.[١]

ومثل ذلك ما حدث فى ملوك الفرس قبل الفتح الإسلامى، حيث قتل ابن كسرى أباه، وعقد صلحًا مع الرومان، ثم فاجأ الجميع كُتُبُ رسول الله ﷺ إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

جاء فى الزرقانى على المواهب اللدنية[٢] أن كسرى المقتول هو «أبرويز» الذى مزَّق كتاب النبى ﷺ إليه فدعا عليه أن يمزق الله ملكه، فسلط الله عليه ابنه «شيرويه» فقتله، ثم قتل إخوته، وكان كسرى يحس أن ابنه سيقتله، فاحتال على قتل ابنه بعد موته، وذلك بوضع سم له فى «حُقٍّ» كتب عليه أنه يقوى الناحية الجنسية، فتناوله الولد، ومات بعد موت أبيه بستة أشهر، ولم يخلف

---

(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطى ص٣٢٨.

(٢) (٢/ ٣٤١).

ولداً، فملّكوا أخته «بوران» التى قال فيها النبى ﷺ: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة».

ويذكر المؤرخون أن «نيرون» الأمبراطور الرومانى المعروف بقسوته والذى أحرق روما، أمر بقتل أمه «أجريبيا»، فقالت للجلاد، فاتحة ذراعيها، مشيرة إلى بطنها: اضرب فى البطن التى حملت هذا الوحش.(١)

٢ – تقصير الوالد فى رعاية الولد ماديًّا وأدبيًا، وقد مر فى الجزء الرابع شكوى رجل إلى عمر عقوق ولده له، وإدانة عمر للرجل، لأنه ترك ولده دون تربية، وسماه باسم قبيح، قال السمرقندى فى كتابه «تنبيه الغافلين ص٤٦»: «جاء رجل إلى عمر بابنه، وقال: إن ابنى هذا يعقنى، فقال عمر للابن: أما تخاف الله فى عقوق والدك، فإن من حق الوالد كذا؟ فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أما كان للابن على والده حق؟ قال: نعم، حقه عليه أن يَسْتَنْجب أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب، فقال الابن: فوالله ما استنجب أمى، وما هى إلا سِنْديَّة، اشتراها بأربعمائة درهم، ولا حسَّن اسمى، سَمَّانى جُعَلاً، ولا علمنى من كتاب الله آية واحدة؛ فالتفت عمر إلى الأب، وقال: تقول: ابنى يعقنى، فقد عققته قبل أن يعقك؟ قم عنى»، وقد تقدمت فى الجزء الرابع؛ كما سبق فيه حديث: «أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده» رواه الطبرانى عن أبى هريرة بسند ضعيف، كما ذكره السيوطى فى الجامع الصغير.

٣ – تفضيل بعض الأولاد على البعض الآخر فى المعاملة المادية أو الأدبية، وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك، معللاً هذا النهى بقوله: «أتحب أن يكونوا لك فى البر سواء»؟ والموضوع مذكور بالتفصيل فى الجزء الرابع.

والقرآن الكريم حكى لنا مؤامرة إخوة يوسف وكيدهم له، بسبب ما كان أبوهم يعقوب يوليه إياه من الحب: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [يوسف: ٨]، ودبروا ما دبروا على ما هو مذكور فى السورة.

---

(١) جريدة الشعب ٨/١٢/١٩٥٨م.

ويحكى التاريخ ما كان من صدام بين الأمين والمأمون، بسبب حب أبيهما الرشيد للأمين، تحت ضغط أمه، قد حَرَمَ ابنه المعتصم من الخلافة، وشاءت إرادة الله أن يتولى هو الخلافة بعد موت أخويه، وأن يكون الخلفاء من بعده من ذريته.[1]

٤ – ومن أسباب العقوق عدم العدل بين الزوجات، فهو يهيء الجو لحقد الزوجة على زوجها، وتنشئة أولادها على كراهية أبيهم، وذلك مفصل فى البحث الخاص بتعدد الزوجات.

تلك بعض الأسباب، ذكرتها كمثال فقط، وقد تكون هناك أسباب أخرى تخلقها ظروف مختلفة، أو حالات خاصة، لا مجال لحصرها هنا.

هذا، وممن اشتهروا بالعقوق عند العرب «أخزم الطائى» فقد كان عاقًّا لوالديه، ولما مات ترك بنين على خُلُقه فَعَقُّوا جدهم، وضربوه، وأَدْمَوْه، فقال فيهم:

إن بَنِيَّ زَمَّلُونى بالدم ... شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزم

والشنشنة: هى السجية والطبيعة.[2]

* * *

(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطى ص١٩٢ .

(٢) النهاية لابن الأثير، مادة: شنشن.

الفصل الخامس

والدا النبى ﷺ

(أ) والده:

والد النبى ﷺ هو عبد الله بن عبد المطلب، وعبد المطلب كان قد تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وأنجب منها: أبا طالب، والزبير، وعبد الكعبة، وعبد الله.

وكان عبد المطلب قد نذر، عندما منعته قريش من حفر زمزم، ولم يكن معه إذ ذاك إلا ولده الحارث، نذر إن رزقه الله عشر بنين ليذبحن أحدهم قرباناً لله، وقد رزق هذا العدد، وعند الوفاء بالنذر جاءت القرعة على عبد الله، حتى دَلَّتْهُ كاهنة تسمى قطبة أو سَجْساج، على تقديم دية عنه، بلغت مائة من الإبل.

ولهذا روى أن النبى ﷺ، قال: «أنا ابن الذبيحين»، أى إسماعيل الذى أُمِرَ أبوه إبراهيم فى المنام أن يذبحه، ففداه الله بذبح عظيم، وعبد الله الذى كان سيذبح وفاء بالنذر، فَفُدِى بمائة من الإبل.

ولما بلغ عبد الله الرابعة والعشرين من عمره زوجه أبوه من «آمنة» فحملت بالنبى، ومات عبد الله، ولم يزل النبى جنيناً فى بطن أمه، كان له شهران، وقيل مات أبوه قبل ولادته بشهرين، حيث كانت سن عبد الله خمساً وعشرين سنة على ما صححه الواقدى، وقيل: مات وسنه ثمان عشرة سنة على ما صححه ابن حجر، واختاره السيوطى، ولا يهمنا هذا السن.

مات عبد الله وهو راجع من «غزة» مع قريش فى تجارتها، وأقام مريضاً فى يثرب «المدينة» شهراً، ثم توفى عند أخوال أبيه بنى عدى بن النجار، ودفن فى دار «التابعة» وهو رجل من بنى عدى، وقيل دفن بالأبواء، وهى قرية من عمل الفرع من المدينة، بينها وبين الجُحْفَة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل: إن آمنة رثته بأبيات، منها:

عَفَا جانبُ البطحاء من آل هاشم ... وجاور لحدا خارجا فى الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ... تَعَاوَرَه أصحابه فى التزاحم
فإن تكُ غالته الْمَنُونُ وَرَيبُها ... فقد كان مِعْطَاءً كثير التراحم

عفا يعنى خلا، والغماغم هى الأكفان، ومعنى تعاوره تداوله.(١)

وقيل: إن عبد الله توفى بعد ولادة النبى ﷺ بسبعة أشهر، والرأى الأول أصح، كما ذكره ابن القيم.(٢)

وحديث: «أنا ابن الذبيحين» رواه الحاكم فى المستدرك عن معاوية بن أبى سفيان، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابى، فقال: يا رسول الله، خَلَّفْتُ البلاد يابسة، والماء يابسا، وخلفت المال عابسا، هلك المال، وضاع العيال، فَعُدْ علىَّ مما أفاء الله عليك يابن الذبيحين، قال مغاوية: فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه، وقد ذكره الزمخشرى فى تفسير «الكشاف»، وقال الزيلعى فى تخريج أحاديثه: غريب.

قال جماعة: إن الذبيح الأول ليس إسماعيل، بل هو إسحق، واستندوا إلى روايات ضعيفة، ترتفع بكثرتها إلى درجة الحسن، وصحح الذهبى بعضها، وحديث معاوية قابل للتأويل، فالعرب تطلق على العم أبًا، كما فى قوله تعالى: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾ [البقرة: ١٣٣]، فجعل القرآن إسماعيل أبًا لأولاد يعقوب، وهو عم لهم، لأنه عم أبيهم يعقوب.

وقال جماعة آخرون: إن الذبيح هو إسماعيل، يقول ابن القيم: «ومما يدل على أن الذبيح إسماعيل أنه لا ريب أن الذبيح كان بمكة، ولذلك جلعت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعى بين الصفا والمروة، ورمى الجمار بها، تذكيرا لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله تعالى، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة، دون إسحق وأمه.

(١) الزرقانى على المواهب (١/ ١١٠).
(٢) زاد المعاد (١/ ١٧).

ثم قال: ولو كان الذبيح بالشام، كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقَّى عنهم، لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة». اهـ.

ومما يدل على أن الذبيح هو إسماعيل أن الله سمى الذبيح أو وصفه بأنه حليم فى قوله تعالى: ﴿ **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** ﴾ [الصافات: ١٠١]، ثم تابع قصة الرؤيا والأمر بالذبح، وليس هناك أحلم ممن يسلم نفسه للذبح طاعة لأمر الله، ولما ذكر الله إسحق وصفه بأنه عليم فى قوله: ﴿ **إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** ﴾ [الحجر: ٥٣]، وقوله: ﴿ **وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** ﴾ [الذاريات: ٢٨]، كما أن البكر من الأولاد هو أحبهم للرجل، وإسماعيل كان هو بكر إبراهيم، فكان الابتلاء به مناسبًا لظهور معنى الخلة لله.

ومهما يكن من شيء فإن معرفة الذبيح لا تدخل ضمن ما كلفنا به من العقائد، وقد وفى الموضوع حقه ابن القيم فى كتابه زاد المعاد.(١)

هذا هو والد النبى ﷺ من النسب، أما أبوه من الرضاعة فسيذكر بعد.

(ب) والدته:

والدة النبى ﷺ هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وكانت يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبًا من جهة الأب، وموضعًا من جهة الأم، فأمها هى برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى.

تزوجها عبد الله بعد أن عرضت كرام النساء عليه أنفسهن، كما تذكر كتب السيرة، ودخل بها فى شهر رجب أو ذى الحجة فى شعب أبى طالب عند الجمرة الوسطى فحملت النبى ﷺ وولدته بعد وفاة أبيه على الأصح، كما مر ذكره.

ولما بلغ النبى ﷺ ست سنوات، وقيل: غير ذلك، خرجت به أمه لزيارة بنى عدى بن النجار بالمدينة، ولتريهم محمداً، وكان معها أم أيمن بركة الحبشية بنت

---

(١) (١/١٦).

ثعلبة بن حصن، فنزلت به دار التابعة، فأقامت عندهم شهراً، وعند عودتها إلى مكة توفيت بالأبواء.

واختلف فى مكان دفنها، فقيل بالأبواء، وقيل بالحَجُون بمكة، وجمع بعض العلماء بين القولين بأنها دفنت أولا بالأبواء، ثم نبش قبرها ودفنت بمكة فى شعب أبى ذئب، وهو رجل من سراة بنى عمرو بالحجون، وهو جبل بِمُعلاة مكة، وقيل فى دار «رائعة» بالمعلاة، وكانت سنها عند وفاتها حوالى العشرين[1]، وسيأتى ذكر أمه فى الرضاعة بعد.

(جـ) هل والدا النبى ناجيان؟

افترق العلماء فرقتين فى نجاة والدى النبى ﷺ، فقال جماعة: هما ناجيان من النار، لأنهما ماتا قبل البعثة فى زمن الفترة، ولا تعذيب قبلها، لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد أطبقت الأئمة الأشاعرة من أهل الأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا، استناداً إلى هذه الآية، وإلى أن شكر المنعم، وهو الله سبحانه واجب سمعًا لا عقلاً، وذلك بناء على رأيهم فى الْحُسْنِ والقبح العقليين، وهو عدم التسليم به.

على أن أهل الفترة يطلق عليهم «غافلون» وقد قال الله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٣١]، أى: الغافلون عن تذكر الله لهم على يد رسول.

وقد وردت فى أهل الفترة أحاديث تفيد أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيامة، فمن أطاع منهم دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وهذه الأحاديث على كثرتها لم يصح منها إلا ثلاثة، كما قال العلماء المختصون.

وعلى هذا الرأى يكون أبوا النبى ﷺ ناجيين، وعزز هؤلاء رأيهم بنصوص

---

(١) الزرقانى على المواهب (١/ ١٧٢).

قابلة للتأويل، وبآراء لم تسلم من المناقشة، منها قوله تعالى: ﴿ **وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، وما رُوى أن النبى ﷺ، قال: «لم أزل أنْقَلُ من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» رواه أبو نعيم عن ابن عباس، فوجب ألا يكون أحد من أصول النبى مشركًا، لأن المشركين نجس.

وقال بعض ممن رأوا نجاة أبوى النبى ﷺ: إن الله أحياهما له بعد موتهما، فآمنا به، حتى قال قائلهم:

أيقنت أن أبا النبى وأمه ... أحياهما الرب الكريم البارى

حتى له شهدا بصدق رسالة ... صدَّق فتلك قضية المختار

وأوردوا فى ذلك أحاديث كلها ضعيفة، منها: قالت عائشة: حَجَّ بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بى على الحجون، وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكائه، ثم أنه نزل، فقال: «يا حميراء، استمسكى» فاستندت إلى جنب البعير، فمكث مَليًّا، أى مدة طويلة، ثم عاد إلىَّ وهو فرح متبسم، فقال: «ذهبت لقبر أمى، فسألت ربى أن يحييها، فأحياها، فآمنت بى، وردها الله».

قال العلماء: إنه باطل، وحكم بذلك الدَّارقُطنى، وقال ابن عساكر: إنه منكر، وقال ابن الجوزى: موضوع.

ورُوى من حديث عائشة أيضًا إحياء أبويه، حتى آمنا به، وقال السُّهَيْلى عنه: فى إسناده مجاهيل، وقال ابن كثير: إنه منكر جدًّا، وسنده مجهول.

وتُعُقِّب ما استند إليه هؤلاء بأنه لم يُرَ أحد صرَّح بأن الإيمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه، فإن ادَّعى أحد الخصوصية فعليه بالدليل، ولا دليل، وإذا كان إحياء الله لوالدى النبى ﷺ بعد الموت ممكنًا عقلاً، فإنه لم يثبت وقوعه بدليل صحيح.

وقالت الفرقة الثانية من العلماء: إن أبوى النبى ﷺ ماتا كافرين، بناء على رأيهم فى الذين يموتون قبل البعثة، وهم أهل الفترة، ورأيهم فى شكر المنعم ووجوبه بالعقل، بناء على ما قالوه من الحسن والقبح العقليين من الاعتراف به.

واستدلوا بنصوص، منها:

ما رواه مسلم[1]، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «استأذنت ربى أن أستغفر لأمى، فلم يأذن لى، واستأذنته فى أن أزور قبرها، فأذن لى، فزوروا القبور، فإنها تذكر الآخرة».

وأجاب الأولون على هذا الدليل بأن عدم الإذن فى الاستغفار لا يدل على كفرها، كما لم يصل النبى ﷺ على الميت الذى عليه دين، مع أنه غير كافر، فقد تكون أمه مُتَحنِّفَةً محبوسة فى البرزخ عن الجنة لأمور أخرى.

وفى مسلم أيضًا[2] عن أنس أن رجلاً، قال: يا رسول الله أين أبى؟ قال: «فى النار»، فلما قَفَّى، أى انصرف وولاه قفاه، دعاه، فقال: «إن أبى وأباك فى النار».

وأجاب الأولون بأنه حديث منسوخ بالآيات والأحاديث الواردة فى أهل الفترة، أو أنه أراد بأبيه عمه أبا طالب، أو أنه خبر آحاد لا يعارض القاطع وهو الآية، وقال بعض هؤلاء: إن حديث مسلم انفرد به عن البخارى، وفيما انفرد به عنه أحاديث تُكُلِّم فيها، ويوشك أن هذا منها، وقيل إن النبى ذكر أباه مع أب هذا الرجل تطييبًا لخاطره، لكن يبقى السؤال عن هذا الأب، كيف يكون فى النار؟ والجواب هو ما قيل فى أهل الفترة.

لكن النووى قال عن حديث مسلم هذا: «فيه أن من مات على الكفر فهو فى النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو فى النار، وليس فى هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء».

وقد رد السيوطى كلام النووى بما محصله: «إنا لو اعتبرنا مطلق وجود بعثة الأنبياء لاستحال وجود من لم تبلغهم الدعوة، إذ ما من فترة إلا وقبلها نبى إلى آدم، وهو أول الأنبياء...».

---

(١) (٧/٤٦).

(٢) (٣/٧٩).

وعلى هذا الرأى، وهو عدم نجاتهما، فخر الدين الرازى وغيره، والخلاف طويل فى أهل الفترة يرجع إليه فى كتب الملل والنحل والتوحيد والكلام، وقد تحدث عنه كثيراً الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية (١ / ١٦٣-١٩٧)، فيمكن الرجوع إليه.

ومهما يكن من شىء فإنه لا فائدة ترجى من وراء البحث فى ذلك، قال القسطلانى فى المواهب اللدنية: «فهذا ما تيسر لى من البحث فى مسألة والديه، وقد كان الأولى ترك ذلك؛ وإنما جَرَّنا إليه ما وقع من المباحثة فيه مع علماء العصر، ولقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقى (توفى سنة ٨٤٢هـ)، حيث قال:

حبا الله النبى مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلا لطيفا
فسلَّم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

ثم قال القسطلانى: «والحذر من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك قد يؤذى النبى ﷺ لأن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه، أو وُصف بوصف به، وذلك الوصف فيه نقص، تأذى ولده، بذكر ذلك له عند المخاطبة، وقد قال عليه السلام: «لا تؤذوا الأحياء بسَبِّ الأموات» رواه الطبرانى فى الصغير، ولا ريب أن أذاه عليه السلام كُفْرٌ، يُقْتَلُ فاعله إن لم يتب عندنا، أى الشافعية» اهـ.

وسئل القاضى أبو بكر أحد الأئمة المالكية عن رجل، قال: إن أبا النبى ﷺ فى النار، فأجاب بأنه ملعون، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ [الأحزاب :٥٧]، ولا أذى أعظم من أن يقال: أبوه فى النار.(١)

قال الحافظ ابن حجر فى بعض كتبه: «والظن بآله ﷺ، يعنى الذين ماتوا قبل البعثة، أنهم يطيعون عند الامتحان يوم القيامة، إكرامًا له ﷺ، وقال فى

---

(١) الزرقانى على المواهب (١ / ١٨٥).

الأحكام والإصابة: ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته الجنة فى جملة من يدخلها طائعًا فينجو، إلا أبا طالب، فإنه أدرك البعثة، ولم يؤمن، وقد ثبت فى الصحيح أنه أهون أهل النار عذابًا.[1]

(د) أبو النبى من الرضاعة:

هو زوج حليمة السعدية التى أرضعت النبى ﷺ، واسمه الحارث بن عبد الْعُزَّى، مختلف فى إسلامه.[2]

(هـ) أم النبى من الرضاعة:

كان من مرضعات النبى ﷺ ثويبة جارية أبى لهب، التى بشرته بولادة النبى ﷺ، وقد اختلف فى إسلامها، ولم يثبت نقله، وكانت تدخل على النبى بعد أن تزوج خديجة فتكرمها، وكان بعد الهجرة يبعث إليها بكسوة وصلة، حتى ماتت بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة، ومات ابنها مسروح قبلها.[3]

أما المرضعة المشهورة التى مكث عندها طويلاً، فهى حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الحارث بن شِجْنَة، من بنى هوازن، وقد اختلف فى إسلامها، والصحيح أنها أسلمت، وحدث عنها عبد الله بن جعفر[4]، وكان النبى يكرمها بعد البعثة، كما ورد ذلك، يقول أبو الطفيل: رأيت النبى ﷺ يقسم لحمًا بالجعرَّانة، إذ أقبلت امرأة، حتى دنت إلى النبى ﷺ، فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هى؟ قالوا: هذه أمه التى أرضعته.[5]

وروى أنه قال لها: «اشْفَعِى تُشَفَّعِى، وسَلِى تُعْطَىْ»، فقالت: قَوْمِى، فقال: «أما حقى وحق بنى هاشم فهو لك»، فقام الناس من كل ناحية، وقالوا: وحقنا يا رسول الله، ثم وصلها بعد، وأخدمها، ووهب لها، ووهب لها سهمين بحنين، فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة ألف درهم».[6]

---

(١) الزرقانى على المواهب (١/١٨٧).
(٢) الزرقانى على المواهب (٣/٢٩٤).
(٣) الزرقانى على المواهب (٣/٢٩٢).
(٤) الزرقانى على المواهب (٣/٢٩٤).
(٥) أسد الغابة، ترجمة عامر بن واثلة (٣/١٤٥)، والقرطبى فى تفسير «ويوم حنين...»، ومصابيح السنة، للبغوى «باب البر».
(٦) الإحياء (٢/١٥٧).

(و) أجداد النبى ﷺ :

(أ) أما أجداد النبى ﷺ من جهة أبيه فهم المذكورون فى نسبه الشريف المعروف، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهم عشرون جداً معروفون باتفاق بين النسابين، ولا خلاف في هذا النسب ألبتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وقد صح فى قيمة هذا النسب قوله ﷺ : «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بنى إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» رواه مسلم عن أبى عمار شداد عن واثلة بن الأسقع، وهو نسب طاهر شريف روى فيه قوله ﷺ : «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى، فأنا خيركم نسباً، وخيركم أبا» رواه البيهقى فى دلائل النبوة عن أنس، وسنده ضعيف، كما مر فى الجزء الأول، وورد مثل هذا عن على كرم الله وجهه.

أما النسب بعد إبراهيم إلى آدم فهو مذكور فى كتب السيرة، ولا دليل يعتمد عليه فى صحته، ولا تهمنا معرفته، والحديث عن الآباء المعروفين فى هذا النسب تكفلت به أيضاً كتب السيرة، ومن أراد معرفة شيء عنهم فليرجع إليها.

وأول أجداده هو عبد المطلب الذى يكنى بأبى الحارث[1] وقد عمر طويلاً حتى قيل: إنه بلغ مائة وأربعين عاماً، وهو الذى جدد حفر بئر زمزم بعد أن كانت مطمورة من عهد جرهم، وكان له ذكره عند هجوم أبرهة على الكعبة بجيشه، وكان سنه سبعين سنة تقريباً عندما زوج ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب والدة

---

(١) الحرث تكتب أحياناً الحارث، وكذلك إسماعيل، وإسحق يكتبان أحياناً بألف وبدون ألف، ومثلهم هرون.

النبى ﷺ ، واستمر النبى ﷺ فى كفالته بعد موت أمه حتى توفى ، وكانت سن رسول الله ﷺ إذ ذاك ثمان سنين، وقيل: ست، وقيل: عشر، فصار بعد ذلك فى كفالة عمه أبى طالب حتى بعث.

(ب) وأما أجداد النبى ﷺ من جهة الأم فيعرفون من نسبها، فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب، فهى تلتقى مع النبى ﷺ فى كلاب، وقد تحدثت كتب السيرة أيضاً عن شرف هذا النسب، ويمكن الرجوع إليها.

(ز) جدات النبى ﷺ :

(أ) أما جداته من جهة أبيه، فإن أم عبد الله هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ، من عمران بن مخزون.

وأم عبد المطلب هى سلمى بنت عمرو، من بنى النجار، زوجة هاشم، وكانت قبله تحت أُحَيْحَة بن الجُلاح، فولدت له عَمْرًا.

وأم هاشم هى عاتكة بنت مُرَّة بن هلال بن فالج بن ذكوان، من بنى سليم.

وأم عبد مناف هى عاتكة بنت فالج، عمة أم هاشم، وفى الزرقانى على المواهب بقية جداته.(١)

(ب) وأما جداته من جهة أمه، فإن آمنة هى: برة بنت عبد العزى، وأم وهب « أبى آمنة » أى جدة آمنة هى عاتكة بنت الأوقص، من بنى سليم؛ ويعرف الأوقص بأبى كبشة، الذى كان ينسب إليه الرسول ﷺ، فيقال: ابن أبى كبشة، وإن كان هناك خلاف فى أن الأوقص يكنى بأبى كبشة.

ونسب إليه لأنه خالف العرب، إذ كان يعبد الشِّعْرَى، ولم يكن أحد من العرب يعبدها غيره، فلما جاءهم النبى ﷺ بخلاف ما كانت عليه العرب، قالوا: هذا ابن أبى كبشة، نسبوه إليه فى مطلق المخالفة، ولم يقصدوا ذمه، وقيل: كان

---

(١) (٣/٢٩٠).

يُدْعَى «أبا كبشة» وهب أخو أمه، كان يدعى بهذا تحقيرًا، وقيل: كان يدعى بها أبوه من الرضاع الحارث بن عبد العزى زوج حليمة، حيث كانت له بنت تسمى كبشة، وفى الزرقانى على المواهب اللدنية بقية جداته.(١)

تنبيه:

ورد عن النبى ﷺ، أنه قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك من سُلَيْم» رواه الطبرانى بسند عن سِيَانَة بن عاصم، وقال الألبانى فى تخريج أحاديث الجامع الصغير، للسيوطى: إنه حسن، وضبط الدميرى فى حياة الحيوان الكبرى -مادة عاتك لفظ سيانة بسين مهملة، ثم ياء مثناة من تحت، وبعد الألف نون ثم هاء، وقال: إن الحديث رواه عبد الباقى بن قانع فى معجمه، والحافظ أبو طاهر أحمد ابن محمد بن أحمد السلفى.

وجاء فى لسان العرب عند ذكر هذا الحديث أن العواتك جمع عاتكة، وهى المتضمخة بالطيب، وعواتك سليم ثلاثة، والمراد بهن جداته، وهن:

١ - عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان، أم عبد مناف بن قُصَىّ، جد هاشم.

٢ - عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، أم وهب بن عبد مناف.

٣ - عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، أم وهب بن عبد مناف بن زهرة، جد رسول الله ﷺ، أبى أمه آمنة بنت وهب.

فالأولى من العواتك عمة الوسطى، والوسطى عمة الأخرى، وبنو سليم تفخر بهذه الولادة.

ولبنى سليم مفاخر، منها:

(أ) أنها ألّفت مع النبى ﷺ يوم فتح مكة، أى شهده منهم ألف، وأن رسول الله ﷺ قدّم لواءهم يومئذ على الألوية، وكان أحمر.

---

(١) (٣/٢٩١).

(ب) وأنها حازت الشرف فى البلاد التى تحل بها، فقد كتب عمر إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام: ابعثوا إلىَّ من كل بلد أفضله رجلاً[1]، فبعث أهل الكوفة: « عُتْبَة بن فَرْقَد السُّلَمِى »، وبعث أهل البصرة « مُجَاشِع بن مسعود السلمى »، وبعث أهل الشام « أبا الأعور السلمى »، وبعث أهل مصر « مَعْن بن يزيد السلمى ».

كذا قاله جماعة، والصواب أن بنى سليم، كانوا يوم الفتح تسعمائة، فقال لهم النبى ﷺ: « هل لكم فى رجل يعدل مائة، فيوفيكم ألفاً؟ قالوا: نعم، فوفاهم الضحاك بن سفيان، وكان رئيسهم، وإنما جعله عليهم لأن جميعهم من قيس بن عيلان، قاله الدميرى فى حياة الحيوان الكبرى، مادة: عاتك.

وسائر العواتك أمهات النبى ﷺ من غير بنى سليم، قال ابن بَرّى: والعواتك اللاتى ولدنه اثنا عشرة، اثنتان من قريش، وثلاث من سليم، هن اللواتى أسميناهن، واثنتان من عَدْوان، وكِنَانية، وأسدية، وهُذَلية، وقُضَاعية، وأَزْدِيّة.

(جـ) أم أيمن:

وضعت هذه السيدة هنا لأن لها أمومة روحية بالنبى ﷺ، وقد جاء فى بعض الروايات أنه كان يقول لها: « أنت أمى بعد أمى ».

وهى بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، أعتقها أبو المصطفى ﷺ، وقيل: بل النبى هو الذى أعتقها، وقيل: كانت لأمه، أسلمت قديمًا، وهاجرت الهجرتين، ولها مناقب كثيرة، كما فى صحيح مسلم.[2]

وهى أم أسامة بن زيد، تزوجها زيد بعد موت زوجها عبيد، روى ابن السكن مرفوعًا: « من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن »، فتزوجها زيد ابن حارثة بمكة، وذلك قبل زواجه من زينب بنت جحش على المعتمد، فذلك كان بالمدينة.

---

(١) فى الأصل: ابعثوا إلى كل بلد أفضله رجلاً.

(٢) (١٦/٩).

يروى ابن سعد وابن السكن كرامة نزول الماء إليها فى دلو من السماء برِشَاءٍ أبيض، لما عطشت وهى صائمة مهاجرة ماشية ليس معها زاد، وجاء فى بعض الروايات، قولها: فلما غابت الشمس إذا أنا بحقيق، تصغير حق، تحت رأسى.

توفيت بعد النبى ﷺ بخمسة أشهر، وقيل بستة أشهر، وقيل: إنها عاشت بعده حتى توفيت فى زمن عثمان، وتوجد «أم أيمن» أخرى، وتسمى بركة أيضًا، وهى مولاة أم حبيبة.

وأيمن هو ابنها من زوجها عبيد الخزرجى المستشهد يوم حنين.(١)

وأم أيمن كانت قابلة النبى ﷺ، وحاضنته بعد موت أمه، وكان النبى ﷺ يقول لها: «أنت أمى بعد أمى»، وكانت تُدِلُّ عليه، وكان أبو بكر وعمر يزورانها بعد وفاته ﷺ، فإذا رأتهما بكت، وقالت: أنا أبكى لخبر السماء كيف انقطع عنا، رواه مسلم.(٢)

وروى البخارى وغيره عن أنس أن الرجل كان يجعل للنبى ﷺ النخلات، حتى فتحت عليه قُرَيْظَة والنَّضير، فجعل يرد بعد ذلك، فكلمنى أهلى أن أسأله الذى كانوا أعطوه أو بعضه، وكان أعطاه أم أيمن، فسألته فأعطانيه، فجاءت أم أيمن، فجعلت تقول: كلا والله لا يعطيكهن وقد أعطانيهن، فقال ﷺ: «لك كذا وكذا»، وتقول: كلا، ويقول: «لك كذا وكذا»، وتقول: كلا، حتى أعطاها، حَسِبْتُه، قال: عشرة أمثاله، أو قريبًا من عشرة أمثاله.

وروى مسلم عن أنس، كان النبى ﷺ يدخل على أم أيمن، فقدمت إليه لبنًا، فإما كان صائمًا، وإما قال: «لا أريده»، فأقبلت تضاحكه، فلما كان بعد وفاته قال أبو بكر لعمر: انطلق بنا نزور أم أيمن، كما كان ﷺ يزورها، فلما دخلا عليها بكت، فقالا: ما يبكيك، فما عند الله خير لرسوله؟ قالت: أبكى على الوحى الذى رفع عنا، فهيّجتهما على البكاء، فجعلت تبكى، ويبكيان معها.(٣)

* * *

(١) الزرقانى على المواهب (١/١٨٨).
(٢) (١٦/٩).
(٣) صحيح مسلم (١٦/٩)، والزرقانى على المواهب (٣/٢٩٥).